المحاضرة الثامنة: الشعرية والحداثة.

مدخل:

قدمت قصيدة الحداثة العربية الكثير من النماذج الشعرية الراقية التي حاكت فيها الكثير من النماذج الشعرية الغربية، ناهيك عن تنوع نصوص الشعر العربي المعاصر على مستوى الموضوعات أو المشاهد الشعرية الراقية التي احتفى بها الشعر عمومًا، حيث صار يشكل" حركة إبداع تواكب الحياة في تغيرها الدائم ولا تكون وقفًا على زمن دون آخر، فحيثما يطرأ تغيير على الحياة)... يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجة عن السلفي والمألوف"[i]،لقد تنوعت قصيدة الحداثة العربية لتأخذ أبعادًا أخرى لم يعرفها النقد العربي من قبل، عرية لقصيدة الحداثة العربية، لم تخرج في فحواهاّ كما أنّ الخصائص الش عن نمط القصيدة الحرّة الغربية ،والتي شكلت رسمًا عامًا لمسار حركة الشعر العربي المعاصر، فهي قصيدة تقوم على نظام السطور بدل الشطور وعلى وحدة التفعيلة الصافية بدل البحر والقافية والروي، و توظيف الأساطير ،و الرموز من ناحية المضمون خاصة بعد التأثر المباشر "بالعوامل التي طرأت على الشعوب العربية بعد حرب عالمية أسفرت... عن وجه جديد لعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالوجود"[ii]

الدراسات السابقة:

الدّرِاسات والبحوث التي في هذا الجزء من البحث سوف يتم استعراض بعض الدّ لها ارتباط مباشر بموضوع البحث، وهذه الد رّاسات السابقة كالآتي:

- دراسة كمال لعور (2019) وعنوانها: معالم الحداثة في الشعر المغربيّ الحديث قراءة في مجلة اللغة العربية وآدابهاّ، نصوص الإبداع والتنظير. مج 07، ع 02، منشورات جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف.
- دراسة سعاد طبوش (2015) وعنوانها: تجليات الحداثة الشعرية في القصيدة النسوية الجزائرية- قصيدة الصورة أنموذجًا. مجلة الناص، ع 17، منشورات جامعة محمد الصديق بن يحي– جيجل.

- دراسة محمد رضا مبارك (2006) وعنوانها: التاريخ ومرجعية الشعرّ- تاريخ القصيدة الحديثة في العراق. مجلة الباحث العالمي، مج 01، ع 02، منشورات جامعة بغداد- العراق.

جذور الحداثة وتمظهراتها:

اللغة الشعرية:

اللغة الشعرية للمتلقي العربيّ لقد قدمت العديد من القضايا الفكرية والمعرفية التي لم تكن تخطر ببال المتلقي العربي في عالم من التجديد المتواصل عبر حقب التاريخ الإنساني فاللغة الشعرية باتت لغة غامضة تفضل الصمتّ والهمس بدل الجهر سعت الرؤية ضاقت العبارةّ

"فكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ".[iii]

وتشتت الفكر والذهن الذي يتلقى تلكم المعاني والدلالات، وهنا تظهر براعة المبدع في التلاعب بالمعاني والجمل والتراكيب الشعرية نحويًا ودلاليًا وأسلوبيًا، وعلاماتيًا فتصبح "اللغة موطن الهزّة الشعرية، التي تصدم وتباغت ،وتنعش وتجسدّ الفاعلية الشعرية وفتنتها"،[iv] وعلى هذا الصدد أسست اللغةّ الشعرية لفتوحات جديدة في عالم النص الشعري العربي المتجدد تدريجيًا نحو تطبيقات لغوية وفكرية لم يعرفها الإبداع الشعري العربي الحديث، ومن هنا أصبحت" القصيدة الحديثة لا تشتق جمالها من الفخامة أو التجتنس، بل تستمده ربما من حقل آخر حيث يكون التنافر واللاتناسق و اللاتكامل واللانمو والقبح والانقطاع عناصر حية جمالية جديدة لعهد للشعر بها".[v]

الإيقاع الموسيقي:

لقد كان الشعراء في القديم يكتبون قصائدهم على نموذج الشطرين (صدر/عجز) وينتهي الشطران بقافية تحتوي على حرف روي واحد وهي ميزة القصيدة العمودية وبقيت القصائد العربية على منوال الأوزان الخليلية وتفعيلاته إلى أن ظهرت حركة التجديد مع شعراء الحداثة من رواد الجيل الأول أمثال: (نازك الملائكة/بدر شاكر السيّاب/ عبد الوهاب البياتي)، وهذ ه الحركة أحدثت تغيرا في العروض فلم تلتزم بالأوزان الخليلية ولا بالقافية، حيث عثروا لأنفسهم على تفعيلات جديدة تناسب وتفسر حالتهم الشعورية، فتخلصوا من قيد القافية وجعلوها متعددة مع اختلاف حرف الرو ي سواء من بيت لآخر أو في في كل أبيات القصيدة إذن "القصيدة لا تستمد قيمتها من أنّها أداة توصيل لمعنى معين فقط، إنما تكمن قيمتها من حضورها الذاتي وشكلها الحسي في ظلّ العلاقات الصوتيةّ لكلماتها فالعناصر الصوتية ليست فقط رموزًا لمدلولات، إنما تجتمعّ بتشكيلها (الإيقاع) مع غيرها كالتركيب والنحو والتصوير، هي كل هذه العناصر لتكون النص الشعري".[vi]

كما أنّ ما يميز القصائد الحداثية عن العمودية هو اعتمادها على نظام السطر الواحد بدل الشطر ثم الجملة الشعرية بدل الوزن، وكذا شيوع ظاهرة التدوير الذي أصبحت معها القصيدة جملة شعرية واحدة.

مظاهر الحداثة الشعرية:

أمّا عن مظاهر الحداثة الشعرية فنجدها قد تجسدت في العديد من الصور الفنية والجمالية التي احتفى بها شعرنا العربي بداية من شعر المدينة/شعر المرأة/الشعر السياسي، الصوفية، وهذا ما شكل مفارقة كبيرة عند شعراء الحداثة الشعرية الذي تأثروا بنماذج عالمية راقية من الشعر الإنساني وخاصةّ قصيدة الأرض الخراب أو الأرض اليباب لـ(توماس إليوت)

حيث" كانت رؤية إليوت للعام واتضاع إمكانية أرضه الخربة، تتطابق مع المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى، وبذلك غدا اليوت الناطق الشعري باسم ذلك الجيل، كما كان همنجواي الناطق باسمه في الرواية ففي (اليباب) يقارن اليوت علانية أمجاد الماضي بقذارة الحاضر وتتضح هذه المقارنة في القسم الثاني من القصيدة (لعبة الشطرنج) حيث تصف الأبيات وضعا حديثا".[vii]

- موضوع المرأة والحبّ:

أمّا في موضوع المرأة والحبّ فقد شكل هذا الموضوع مظهر الشعر العربيّ القديم منذ العصر الجاهلي، وما مرّ به هذا الموضوع من تسميات مختلفة لموضوع واحد هو الحبّ

فتارة يسمى بالشعر الغزلي الماجن والعذري، ومرة يسمى بشعر التشبيب، وشعرنا العربي القديم ونقده قد خاض في هذا الموضوع طويلا إبداعًا ونقدًا خاصة لدى نخبة الشعراء نحوَ: امرئ القيس، وعمر ابن أبي ربيعة، وقيس بن الملوح (مجنون ليلي).

وغيرها من المواضيع التي لا يسعنا ذكرها كلها في هذا المقام منها القومية العربية والتصوف المعاصر والاغتراب والعلمنة ....

الحواشي:

---

[i] – بنيس محمد، الشعر الحديث بنياتها وإبدلاته (الشعر المعاصر)، ط04، دار توبقال، المغرب للنشر، 2014 ، ص 35.

[ii] – يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة بيروت،ط1، 1978م، ص 79.

[iii] – القعود، عبد الرحمان محمد، الإيهام في شعر الحداثة ، (العوامل والمظاهر وآليات التأويل)، سلسلة عالم المعرفة، ع 279 ، مطابع السياسة، الكويت ط 1 ، 2002م، ص 41.

[iv] –العلاق، في حداثة النص الشعري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2003، ص 23 .

[v] – المرجع نفسه، ص 24 .

[vi] – سالمان الإيقاع في شعر الحداثة. ط 1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008م، ص56.

[vii] – ت. س. إليوت – ترجمة، يوسف اليوسف، دراسة وترجمة، مجموعة قصائد لإليوت مترجمة وبعض المقالات مترجمة عن مجموعة كتّاب. صادر عن دار منارات – عمان – 1986، ص 68 .